مظانُّ العبقرية

يتجلى النبوغ او العبقرية بوجه خاصّ في العلوم الرياضية وفنون الجمال التي اصطلح على تسميتها بالفنون الجميلة ترجمة حرفية من اللغات الافرنجية. وعندي ان تسميتها فنون الجمال اوجه لان دائرة المعارف البريطانية عرفتها بقولها « انها تلك الفنون التي لا يستخدمها الانسان بادئ بدء لقضاء حاجاتهِ المادية بل في سبيل محبتهِ للجمال ». وعليهِ وجبت تسميتها فنون الجمال لا الفنون الجميلة اذ ليس المراد انها هي جميلة بنفسها كما يفهم من نعتها بالجميلة

العلوم الرياضية

تشمل العلوم الرياضية في اصطلاح المحدثين الحساب على انواعهِ والجبر والهندسة على انواعها والمجسوب والمساحة واللوغرثمات والفلك. ويدخل فيها من بعض الوجوه ومع التوسع علم الطبيعة والجيولوجيا وغيرهما من العلوم التي يظن لاول وهلة انها ليست من الرياضيات في شيء كالموسيقى مثلاً. فقد جاء في بعض التعريفات ان العلوم الرياضية هي التي لا تدرك الاّ بالعمل كالحساب والمساحة والموسيقى ونحو ذلك

والرياضي مخلوق لا مصنوع كما يقول الانكليز في بعض تعابيرهم فهو بذلك كالاديب أكاتباً كان ام شاعراً اي انهُ مطبوع على الرياضة طبع الكاتب الفذّ على الكتابة او الشاعر المجيد على النظم. وموهبتهُ مغروسة في نطفتهِ الاصلية تنمو وتزكو اي زكاء اذا تعهدت باسباب النماء. والاّ دفنت معهُ في لحدهِ من غير ان يلمع العالم شعاعاً من اشعتها او يشيم شرارة من شررها كما قال الشاعر جراي الانكليزي في مرثيتهِ المشهورة — اذ وقف على مقبرة قرية فقال مؤبناً من فيها بما معناهُ :

كاينٍ من دفين في هذه اللحود ولد وعاش ومات ولم يسمع الناس بهِ وهو لو اتيح لهُ تمرين مواهبهِ لمسك القيثار بانامله وعزف عليهِ لاسمعنا انغام الملائكة . ولو شبهتهُ بشيء لكان اشبه الاشياء بهِ تلك الزهرة التي تنبت في الصحراء فتنوّر وتزهو ويذهب ارجها ضياعاً لا يشمهُ انف ولا يتمطر بهِ متمطر . انتهى

ومن اخص الصفات التي تميز الرياضي من غيرهِ ذهولهُ وغياب ذهنهِ عما هو امامهُ لاشتغالهِ بما ليس امامهُ حتى لقد اشتهر عن بعض الرياضيين حركات

واعمال لا تصدر الاَّ عن المجانين . فقد كان اسحق نيوتن يلبس احد كميهِ ويترك الآخر ويمشي بين الناس وهو على هذه الحالة من غير ان يدري لاشتغالهِ الباطن بالقضايا الرياضية . كذلك روي عن ارخميدس الفيلسوف اليوناني انهُ اكتشف مبدأ الثقل النوعي وهو في الحمام فخرج منهُ عارياً وهو يصفق بكلتا يديهِ ويقول وجدتهُ وجدتهُ . وقتل وهو مشغول بحلّ قضية كما هو مشهور . ونعرف رياضياً كانت تصدر عنهُ اعمال لا تصدر عن اغرب المجانين . وأُخبرنا عن تلميذ نابغ في الرياضة كان في فرقةٍ نحو ٤٠ تلميذاً اجعلهم يضحك عليهِ في امور الدنيا وهو لا يشعر بالضحك عليهِ . على انهُ اذا اعطى الاستاذ تلاميذهُ قضايا هندسية فرعية على القضايا الاصلية لحلها كان يحلها لدن اطلاعهِ عليها كأنما حلها يهبط عليهِ هبوط الوحي والالهام

وكما ان الرياضي يخلق رياضياً كذلك لا يصير غير الرياضي رياضياً ولومها بذل في تهذيبهِ وتثقيفهِ . وجهد ما هنالك اننا بتمرينهِ على الرياضيات نوسع دائرة عقلهِ ونجعل حكمهُ في المسائل اقرب الى الصواب . لذلك يعلمون العلوم الرياضية تمهيداً للفنون التي لا حاجة ظاهرة الى الرياضة فيها كالطب والمحاماة وغيرهما ويوجبون على الطبيب والمحامي ان يكون معهما الشهادة العلمية قبل شهادة فنهما

بالامس توفي رياضي هندي وهو في عنفوان الشباب فابنهُ عالم انكليزي في مجلة ناشر تأبيناً طويلاً لا يؤبن بمثلهِ الاَّ مشاهير الرجال . ومما قالهُ فيهِ ان امارات النبوغ في الرياضة ظهرت عليهِ في حداثة سنهِ ولكن احوالهُ لم تسمح لهُ بالسفر الى انكلترا والدرس في جامعاتها الكبرى الاَّ متأخراً ومع ذلك فقد بحث في مسائل رياضية عويصة لا يفهمها الاَّ جهابذة هذا العلم . ولو اتيح لهُ تمرين مواهبهِ في الزمن الملائم ما عرف الاَّ الله الى اي حد كان يصل من النبوغ والعبقرية

وعلى ذكر العبقرية نقول ان الانكليز يسمون النابغة او العبقري Genius (جينيوس) والفرنسويون Génie (جني) والعرب عبقرياً نسبة الى عبقر وهي قرية تسكنها الجنّ ينسب اليها كل فائق جليل . وفي القواميس الافرنجية ان الاصل لاتيني . ونغني عن البيان ان لفظة جنون مشتقة من هذه اللفظة فلا غرابة اذا التبست على الناس في بعض الاحيان الحدود التي تفصل بين العبقري والمجنون فخلطوا بين الاثنين ولاسيما ان بعض النابغين قد يتدهورون فجأة الى هوة الجنون المطبق

فنون الجمال

وليس ثمة ادلّ على كون النبوغ في الكتابة وقرض الشعر فطرة لا تكتسب بالصناعة ولا تجلب بالتطرية من انك لا تكاد تجد بين خريجي مدارس الدين والدنيا كاتباً محرراً او شاعراً مفلقاً بل تجد الكتاب والشعراء على الغالب في صفّ الذين لم يتخرجوا على استاذ ولا درسوا في مدرسة ولا تأبطوا شهادة ولا اخذوا جائزة في هذا العلم او ذاك . وتجد قوالي « الرجل » في المزارع النائية المترامية الاطراف ، ولو افرغت معانيهم الرائعة في قالب عربي مبين لخرجت قصائد دونها شعر الجاهليين . فالرياضي والاديب مطبوعان على الرياضة والادب وكل جهد يبذل في ترويض غير الرياضي ليكون رياضياً وتذليل غير الاديب ليخرج اديباً انما هو جهد ضائع وطلب حصاد حيث لا زرع ولا زارع

ومثل الشعر سائر فنون الجمال وهي اربعة (غير الشعر) اي البناء والموسيقى والنحت والتصوير ، وعندي انهُ كان اجدر لو قالوا الكتابة بدل الشعر فانها تشمل النثر والنظم معاً . ولا يخفى على اولي الالباب ان الكاتب الضليع ليس دون الشاعر المجيد المفلق ولا الشعر العالي باوقع في النفس من النثر العالي ولا كان للشعراء بشعرهم من الاثر في المجتمع الراقي ما كان لجهابذة الكتاب بنثرهم . وزد على هذا كلهِ ان الشعر ليس ادنى الى الجمال من النثر بل انهما كليهما صناعتان من طراز واحد لا تستخدمان بادىء بدء لقضاء الحاجات المادية بل لخدمة الجمال . وربما كان النثر وخصوصاً الشعري منهُ وهو ما سموهُ بالشعر المنثور أقرب الى معاني الجمال من الشعر لانهُ ابعد منهُ عن التكلف ولاسيما اذا خلا من السجع واحرى للمعاني السامية التي كثيراً ما يضطر الشاعر الى تركها لتسير على غير طائل في سبكها

والمبرزون في فنون الجمال انما يفوقون الاقران بطبعهم لا بتطبّعهم . فرجال مثل بيتهوفن وفردي والموصلي من نوابغ الموسيقيين . وفيدياس وميخائيل انجلو من نوابغ النحاتين . ورفائيل ورمبرانت وتيتيان من نوابغ المصورين . ومكولي وهرجو والجاحظ من نوابغ الكاتبين . وشكسبير وجيتي والمتنبي من نوابغ الشعراء — رجال هذا شأنهم قلال يبخل الزمان بمثلهم . واذا عددتهم فلا يجاوزون العشرات بين الوف الملايين من الخلائق الذين عاشوا وماتوا في هاتيك القرون المتطاولة

(نقيب)